

احمد بوزفور

الطريق طويل وابيض بين الاراضي المحصودة المنحدرة على الجانبين والطفل بدا صغيرا كنقطة . لم يكن يحس بالانجل في يده . . . يسير وهو يلوح به ولكنه لم يكن يحسه . . . التراب يبرد . . . أحسن به تحت قدميه الصغيرتين ناعما ومدغدغا كالطحين ، والتفت وراءه فرأى خطوانه مطبوعة على التراب كما هي : خطوة وراء خطوة . نظر الى قدمه اليمنى وضغط بها على التراب ثم رفعها ونظر الى صورتها المرسومة ، نظر الى الاصبع الكبيرة تتبعها الاصابع الاربعة الصغيرة وابتمس : كالدجاجة والكتاكيت . وأحس على جبهته بنسمة باردة خفيفة ففتنه . . . كم كانت الشمس حارة اليوم ! ورأى شوكا على جانب الطريق فأحس بالانجل في يده . . . ضربها بقوة غاطارها عن جذعها الناحل المزعب ثم عاد فضرب الجذع نفسه وأطاره . أبوه قوي ، يحصد طول النهار ولا يتعب . أحس بالراحة حين تذكر غناء أبيه . . . لم يكن الا دندنة خافتة تطفو فوقها مرة بعد مرة كلمات صغيرة مقطعة : « يا لالا . . . الغيام . . . عشرين » الشمس تنحدر نحو المغرب . . . سمع الطفل خوار بقرة من بعيد فالتفت ولكنه لم يرها . . . أبوه حين ينددن في خفوت لا يشعر بأحد ، ينسى ما حوله تماما ، وحينئذ يتباطأ الطفل في جمع حزم الشمع المحصود وينظر الى الحقول الاخرى . لابد أن اباه الآن يشرب الشاي عند عمته ، ولن يصل الى الدار الا في الظلام ، ولذلك فلن يرى خطوات ابنه الضاحكة على التراب المسحوق . أمه هي التي ستفتح الباب في الليل ، أما هو فسيكون نائما . . . على الجانب الايسر من الطريق رأى وجها ملتويا يضحك ، وحين التقط الورقة الملونة عرف أنه وجه امرأة ، فقد كان في أذنيها قرطان طويلان كثميرين معلقين . . . كانت الورقة مكرشة ، لابد أن صاحبها رماها بعد أن امنص حبات الحلوى . مر بلسانه على الخد الايسر للمرأة فلم يذق الا طعم الورق الاملس ، طوى الورقة على أربع ووضعها في قب جلابته الكتانية وتابع سيره . حين يمر تحت دار « العيساوي » فستهاجمه الكلبة البيضاء . . . نذاك فعليه أن يخرج من الطريق الناعم الطري ويخترق الشوك والحصى ليراوغها

. . ولكن دار « العيساوي » لا تزال بعيدة . . والتفت الى الوادي الاخضر
 في السفح البعيد فرأى الاشجار والماء وطريق السيارات والبيوت والحرسه ،
 ثم صعد ببصره وراء الوادي الى الجبل المقابل فرأى الغابة والاق و السماء .
 جلس على حافة الطريق وأخذ يتابع ببصره سيارة صغيرة زرقاء كانت
 تجري كالنحلة مع الوادي الاخضر . لو اشترى له أبوه سيارة . . من
 الحديد لا من التراب . . يجرها في ساحة الدار على عجلاتها المطاطيه
 ويجري . . حتى يصل . . الى المدينة ؟ ؟ المدينة هناك وراء الغابة
 في الليل يرون أضواءها البعيدة . ليلها كالنهار . والاطفال فيها كالجن لا
 يخافون . في النهار يقرأون الكتب في المدارس ، وفي الليل يلعبون تحت
 الأضواء الباهرة . أبوه لا يعرف ، اللعب ، لا يعرف ، الا الزرع
 والشمس والعرق ، وفي الصباح يخلعه من فراشه والنجمة بعد في السماء .
 ربما لحقه الآن في الطريق . . ونهض . الشمس وصلت الى الأرض .
 صارت حمراء كالدم ، وتراب الطريق بارد الآن . . سمع صفيرا متقطعا
 ونظر الى الامام فرأى الماعز يملأ الطريق ، والاطفال يركضون ويصفرون .
 المغرب . . وبعد قليل تبدأ النساء في الحلب . لو يشرب عراف من
 اللبن . . باردا تطفو فوقه قطع الزبد الصفراء . . سيشرّب الشاي وينام
 . . لن يصل الا في الظلام ، وانتفض ونظر الى يده اليمنى فلم ير المنجل
 وعاد راكضا . . أبوه سيسلخ لحمه بالحزام الجلدي . . لابد أن المنجل هناك
 حيث جلس ينظر الى السيارة الزرقاء . . كان يلهث حين رأى المنجل .
 فالتقطه ملهوا ، وتطلع الى الطريق فلم ير أباه ، وعاد راكضا كالجدي .
 كان الاطفال قد غابوا بالماز . . للظلام يغطي الأرض بالتدريج كالنماس .
 بعد قليل لن يرى الطريق امامه ، والتفت الى الوراء فلم ير أحدا .
 لا ينبغي أن يكون طفلا خوافا . . ليس هناك أحد ولا شيء ، وراءه . .
 لينظر فقط الى الامام وليتابع الركض . ولكن شيئا خفيا كان يجذبه من
 ورائه . . يجذبه بدون يد كالهواء . . والتفت فرأى شيئا غائما ضبابيا
 يقبل وراءه من بعيد . . ليس شيئا . . ليس شيئا . . وعاد فالتفت ورآه
 أيضا ، فأسرع في الجري . . وأسرع الشيء العائم الاسود وراءه .
 وأحس بانفاسه في قفاه فصرخ ، والتفت مذعورا فرأى الشيء الاسود لا يزال
 بعيدا . . وتابع الجري وهو يبكي في خفوت . . وقبل أن يصل الى دار
 « العيساوي » . . يدين يدين . . يدين طويلتين ناعمتين
 ضاحكتين دافئتين . . يدين خنوقتين . . يدين امامه يراهما وتغيبان
 . . يدين يدين يدين . . وانكفا على وجهه . . عثرت رجله بحجر ثابت
 . . فسقط ببطئه على سن المنجل الحاد . . كان المنجل يبقّر بطنه والشيء
 الاسود يطبق عليه . . وصرخ لحظة . . ثم غابت عنه الدنيا . .